الرؤية السننية عند السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسيره الميزان (دراسة تحليلية)

حسن صكبان كاطع
جامعة الأديان والمذاهب، كلية علوم القرآن والحديث

أ.م.د. علي عبداله زاده
جامعة فردوسي – مشهد – إيران

أ.م.د. محمد رضا ملا نوري
جامعة الأديان والمذاهب – قم – إيران

البريد الإلكتروني Email : hsnskbank@gmail.com

الكلمات المفتاحية: الرؤية – السننية .

كيفية اقتباس البحث
كاطع ، حسن صكبان ، علي عبداله زاده، محمد رضا ملا نوري ، الرؤية السننية عند السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسيره الميزان (دراسة تحليلية)،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، شباط ٢٠٢٥،المجلد:١٥ ،العدد:٢ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

The Sunni vision of the scholar Muhammad Hussein Tabatabai, may God have mercy on him

Hassan Sakban Kate
University of Religions and Sects, College of Qur'anic and Hadith Sciences

Prof. Dr. Ali Abdollahzadeh
Ferdowsi University - Mashhad - Iran

Prof. Dr. Mohammad Reza Molla Nouri
University of Religions and Sects - Qom - Iran

Keywords : Sunni – vision.

How To Cite This Article
Kate, Hassan Sakban, Ali Abdollahzadeh, Mohammad Reza Molla Nouri , Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, February 2025,Volume:15,Issue 2.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract :

This research revolves around the Sunnah vision of the scholar Muhammad Hussein Tabatabai (may God have mercy on him) and explaining the importance of these divine Sunnahs from the explicit meaning of the Noble Qur'an within the divisions and types that we have discussed, which were dealt with in the interpretation of Al-Mizan. God Almighty said: ((Indeed, Sunnahs have passed away before you)) () and these are established. For the concept of Sunnah within the vision of the scholar (may God have mercy on him), and the Almighty said: ((The Sunnah of God which has passed away before, and you will not find any change in the Sunnah of God)) () We discussed many of the verses that indicated that God Almighty structured people's lives within Sunnahs and controls that imitate the individual and society. Among them are

universal laws and social laws. God Almighty said: ((And He created everything and determined it with a specific determination))

In our research, we also discuss some of the divine laws in the Holy Quran that were highlighted by the esteemed scholar (may Allah have mercy on him), explaining that these laws are fixed and unchanging, depending on human actions. Among God's laws is the punishment of oppressive nations, as stated in: "Are they waiting for anything except the way of the former peoples The verses also address the laws of guidance, which are linked to piety, patience, and striving in the way of Allah, as in: "Indeed, whoever fears Allah and is patient—then indeed, Allah does not allow to be lost the reward of those who do good The Quran makes it clear that guidance is in the hands of Allah, but He grants it to those who sincerely seek it, as in: "So whoever Allah wants to guide—He expands his chest to Islam The text also discusses divine laws related to misguidance, such as the fact that Allah does not guide the wrongdoers and sinners and that turning away from His remembrance leads to the dominance of Satan, as in: "And whoever turns away from the remembrance of the Most Merciful—we appoint for him a devil, and he is to him a companion Ultimately, these divine laws illustrate that human beings are responsible for their fate, whether they choose the path of guidance or misguidance.

ملخص :

يتمحور هذا البحث حول الرؤية السننية للسيد العلامة محمد حسين الطباطبائي (رحمه الله) وبيان أهمية هذه السنن الإلهية من صريح القران الكريم ضمن تقسيمات وأنواع بحثناها التي تم تناولها في تفسير الميزان قال تعالى : **{قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنَ}** وهذه مقررة لمفهوم السننية ضمن رؤية العلامة (رحمه الله) وقال تعالى : **{سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا}** وبحثنا كثير من الايات التي كان تفيد ان الله عز وجل شيد حياة الناس ضمن سنن وضوابط تحاكي الفرد والمجتمع منها سنن كونية وسنن اجتماعية قال تعالى : {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} وأيضا نتناول في بحثنا بعض السنن الإلهية في القرآن الكريم التي أشار إليها العلامة (رحمه الله) موضحًا أن هذه السنن ثابتة لا تتغير وتعتمد على أفعال البشر فمن سنن الله معاقبة الأمم الظالمة كما في قوله: **{فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ}** كما تتناول الآيات سنن الهداية التي ترتبط بالتقوى والصبر والجهاد في سبيل الله مثل قوله : **{إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}** وتوضح الآيات أن الهداية بيد الله لكنه يمنحها لمن يسعى إليها بصدق كما في قوله : **{فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ}** وتتناول بعض السنن المتعلقة بالضلال مثل أن الله لا يهدي الظالمين والفساق وأن الإعراض عن ذكر الله يؤدي إلى

تسلط الشيطان كما في قوله : {وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ} وفي المجمل تبين هذه السنن أن الإنسان مسؤول عن مصيره وفق أفعاله سواء في طريق الهداية أو الضلال.

المقدمة :

تناول القران الكريم كثير من السنن الإلهية التي ذكرت كثيرا في تفسير الميزان التي تناولها السيد الطباطبائي (رحمه الله) في تفسيره منها التي تحدث عن سنن قديمة في الأمم قبل الإسلام قال تعالى : **{يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ}** (١) وقال تعالى : **{وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ}** (٢) ومنها كانت سنن عامة وسنن خاصة وتوزعت الى سنن كونية وسنن تاريخية وسنن اجتماعية وسنن تشريعية وهذه السنن كلها يتحدث بها القران الكريم وبين كيف تكون الهداية العامة شاملة لجميع المخلوقات في هذا الكون ومن ثم كيف تصبح ذات سنن خاصة بالبشرية أي سنن خاصة ممقوتة مثل سنة (المكر) قال تعالى : **{ومكرالسيء}** (٣) مصيرها الاضلال وسنن خاصة كطاعة الله قال تعالى : **{ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ}** (٤) مصيرها الهداية وفي البحث سوف نتناول الرؤية السننية للسيد الطباطبائي وفرضت طبيعة هذا الموضوع تقسيم البحث الى ثلاث مطالب يسبقهما ملخص ومقدمة وتليهما خاتمة بأهم النتائج وفضلا عن قائمة للمصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث. اختص الملخص بيان أهمية السنن الإلهية وأما المقدمة بينا فيها المنهج المتبع وعرض لخطة البحث وذكر الدراسات السابقة وأما المطلب الأول بينا فيه مفهوم السنة والمطلب الثاني اختص بأقسام السنة والمطلب الثالث بينا فيه نماذج سننية قرانية وهذا البحث سوف يكون وفق الدراسة التحليلية. و بحسب ما اطلعت عليه من المراجع والمصادر ما يخص الدراسات السابقة لموضوع بحثنا هذا فإني لم الاحظ بحث اهتم بموضوع الرؤية السننية عند السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسيره الميزان دراسة تحليلية وفق هذا العنوان – وهذا ما حفزني ان اختار هذا العنوان للبحث وهذا لا يعني انه لا يوجد دراسات سابقة مشابه لهذا العنوان أي السنن بصورة عامة و من هذه الدراسات : (مفهوم السنن الإلهية في الفكر الإسلامي السيد محمد رشيد رضا نموذجا – يتطرق فيها الباحث حول مفهوم السنن الإلهية عند رشيد رضا وعلاقتها بقضايا العقيدة) (وكتاب سنن الله في الأمم من خلال آيات القران الكريم – تطرق فيها الباحث عن خصائص سنن الله في الأمم ومنهج القران في عرض سنن الله في الأمم) (سنن الله في إحياء الأمم في ضوء الكتاب

والسنة –يتطرق فيه الباحث حول العمل الصالح واثره في احياء الأمم ولما له من فوائد جمة ومن ثم بين ما يخص التكافل الاجتماعي).

المطلب الأول :

أولا – مفهوم السنة :

السنة لغة : مشتقة من سن الشيء إذا أرسله قال ابن فارس : "السين والنون أصل واحد مطرد وهو جريان الشيء واطراده في سهولة والأصل قولهم سننت الماء على وجهي أسنه سنا إذا ارسلته إرسالا "(٥)

وهي الطريقة والسيرة (٦) . السنة : الطريقة المحمودة المستقيمة ولذلك قيل فلان من أهل السنة معناه : من اهل الطريقة المستقيمة المحمودة (٧) . السنة : الصورة وما اقبل عليك من الوجه وقيل : سنة الخد صفحته (٨) . وسميت السنة بذلك لأنها تجري جريا في طريق واضح أي الطريق الواضح والمنهج القويم (٩) .

السنة اصطلاحا :

أولا : عرفها السيد العلامة الطباطبائي (رحمه الله) " هي التي اقرها الله سبحانه في الكون غير متخلفة عن الانسان ولا الانسان مستثنى منها فالأمة من الامم اذا انحرفت عن صراط الفطرة انحرافا يصده عن السعادة الانسانية التي قدرت غاية لمسيره في الحياة كان في ذلك اختلال حال غيره مما يحيط به من الاسباب المرتبطة به وينعكس اليه اثره السيئ الذي لا سبب له الا انحرافه عن الصراط " (١٠)

ثانيا : عرفها السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره الشريف) : " أن السنن التاريخية ان السنن القرآنية في التاريخ ذات طابع علمي لأنها تتميز بالاطراد الذي يميز القانون العلمي وذات طابع رباني لأنها تمثل حكمة الله وحسن تدبيره " (١١)

ثالثا : عرفها صاحب تفسير النور محسن قراءتي " هي من السنن الإلهية وتدور في مدار قدرته وتدبير حكمته قال تعالى : {هُوَالَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (١٢) (١٣)

ومن بعد ما تناولنا تعريف السنة اصطلاحا تبين الاتي :

أولا : ذكر العلامة (رحمه الله) في بيانه أي ان السنن وجدت مع وجود الخلق ويشير (رحمه الله) أن الله يرسل الآيات لأمم لكي يعودوا الى طريق الصواب بعد ان ساروا في طريق الضلال ورغم ارسال الله عز وجل انبياءه ورسله مبشرين ومنذرين لتلك الاقوام الا انه عرضوا عن آيات الله سبحانه و يذكر السيد الطباطبائي السنة من خلال الايات التي ترجمت ما حدث مع الامم

القديمة وبينت انهم ليس لهم اي ارتباط بالله سبحانه و انحرافهم عن الميثاق الالهي ومن خلال تلك التي قسمها السيد (رحمه الله) وهذه السنن هي اثار و مصاديق للسنن التي من خلالها انحرف الناس عن طريق الصواب وتشبثوا بالحياة الفانية وذكر سنة الاستدراج وهي تبديل الشر بالخير وتبديل المسيء بالجيد وهذه سنة منوطة بالايمان اي تغيير القلوب المجحفة المغلفة بسواد الاعمال نحو قلوب تتفكك القيود وتزيل الحقد والكراهية وترتبط بالله سبحانه المتعال من خلال سنة الله التي اوجد الناس عليها قال تعالى {فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم} قال تعالى : {وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا}.

ثانيا : اما ما طرحه السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره) ما يخص السنن التاريخية يقول الانسان تتحكم فيه سنن التاريخ وعملية استبدال اقوام بغيرهم لا تتم الا من خلال الظروف الموضوعية و الامكانات المتوفرة لديهم اي عملية التغيير متعلقة في ما ذكر السيد الصدر التي تدخل في ضعفهم وقوتهم واستقامتهم وانحرافهم وهذه عملية التغيير او التبديل تحت طائلة الشروط .

ثالثا : أما بينه صاحب تفسير النور محسن قراءتي السنن تدور في قدر الله العادل من خلال التهيئة والاعداد القويم للناس على هذه الارض وخصص عبر الامثلة القرانية ما هو حرام وما هو حلال.

المطلب الثاني : اقسام السنة

والسنة تستخدم في عدة معاني ولها اقسام ثلاثة كما ذكرها السيد العلامة الطباطبائي (رحمه الله)

أولا – سنن كونية عامة :

قال تعالى : { **وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**} (١٤) وبين العلامة بشأن السنن الكونية قائلا : " هي تلخص القول في قصص الامم الغابرة فتذكر ان اكثرهم كانوا فاسقين خارجين عن زي العبودية لم يفوا بالعهد الإلهي والميثاق الذي أخذ منهم لأول يوم وتبين أن ذلك كان هو السبب في وقوعهم في مجرى سنن خاصة إلهية يتبع بعضها بعضا " (١٥).

ان الله تعالى لم يخلق هذا الكون بدون هدف لكن نجد ان القران الكريم مملوء بالسنن التي تقوم بتدبير أمور وتسير شؤونه حيث قال جل وعلا : {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} وان الحياة البشرية تكون مرتبطة بالقوانين التي وضعت له من قبل الله تعالى.

يتبين ان هناك سنن على نحو الخصوصية :

أ – وهي أن الله سبحانه كان كلما أرسل إليهم نبيا من أنبيائه يمتحنهم ويختبرهم بالبأساء والضراء فكانوا يعرضون عن آيات الله التي كانت تدعوهم إلى الرجوع إلى الله والتضرع والإنابة إليه ولا ينتبهون بهاتيك المنبهات وهذه سنة .

ب – سنة المكر : وهي الطبع على قلوبهم بتقسيتها وصرفها عن الحق وتعلقها بالشهوات المادية وزينات الحياة الدنيا وزخارفها .

ج – سنة الاستدراج : وهي بتبديل السيئة حسنة والنقمة نعمة والبأساء والضراء سراء . قال تعالى {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ} ([١٦]) أي ان العالم بما فيه من الأجزاء متعلق الأبعاض مرتبط الأطراف يتصل بعضها ببعض اتصال أعضاء بدن واحد وأجزائه بعضها ببعض في صحتها وسقمها واستقامتها في صدور افاعيلها وقيامها بالواجبات من أعمالها فالتفاعل بالآثار والخواص جار بينها عام شامل لها . ([١٧])

ومن خلال ما ذكره العلامة (رحمه الله) ان البشرية قبل مجيئ الرسول محمد (صل الله عليه واله) ارسل اليهم الله عز وجل انبيائه ورسله لكن لم يجد الله استجابة لذلك النداء الرباني الحق منهم والله سبحانه امتحنهم كثيرا لكن لم تكن لديهم البصيرة الكافية لذلك قال تعالى : **{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}**.

عندما يكون الانسان عاصي ويتمادى بالعصيان والفساد فأنه يكون على درجة من الطغيان والتشبث بالدنيا الفانية ويستمر على ذلك حتى يبتعد كثيرا عن طريق الحق قال تعالى : **{فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}**.

ذلك الانسان نفسه يعيش في هذا العالم الذي علاقته كاملة وموحدة وضمن اعمال محددة والبركات والارزاق في هذا العالم منوطة بالايمان وحقيقة التوكل لله عز وجل قال تعالى : {فتوكل على الله إنك على الحق المبين} وقال تعالى : **{إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا}**

وعلى الناس أن يتبعوا ما ذكره الرسول الكريم (صل الله عليه وآله) من خلال بيان وتوضيح ما جاء به القران الكريم وروى ابن شعبة الحراني في تحف العقول في حديث عن الامام علي (عليه السلام) آنه قال : " فاقتدوا بهدي رسول الله (صل الله عليه وآله) فإنه افضل الهدي واستنوا بسنته فإنها اشرف السنن " ([١٨])

ثانيا – سنن اجتماعية : حيث يذكر بشأنها العلامة (رحمه الله)

قال تعالى : {سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} (١٩)

" والله سبحانه لما قلب دينه في قالب السنن العامة الاجتماعية اعتبر في بيانه المعارف الحقيقية المسبوكة في قالب السنن الاجتماعية ما نعتبره نحن في مسير حياتنا فأراد منا أن نفكر فيما يرجع إلى معارفه، ونتلقى ما يلقيه إلينا من الحقائق كما نفكر ونتلقى ما عندنا من سنن الحياة فعد نفسه ربا معبودا، وعدنا عبادا مربوبين، وذكرنا أن له دينا مؤلفا من عقائد أصلية وقوانين عملية تستعقب ثوابا وعقابا وأن في اتباعه صلاح حالنا، وحسن عاقبتنا، وسعادة جدنا على نحو المسلك الذي نسلكه في آرائنا الاجتماعية "

قال تعالى : {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} (٢٠) " وهذا هو الذي يسوغ لنا أن نبحث عن المعارف الدينية اعتقادية أو عملية كما نبحث عن المعارف الاجتماعية اعتقادية أو عملية، وأن نستند في المعارف الدينية من الآراء العقلية، والقضايا العملية بعين ما نستند إليه في المعارف الاجتماعية فالله سبحانه لا يختار لعباده من الوظائف والتكاليف إلا ما فيه المصلحة التي تصلح شأنهم في دنياهم وآخرتهم " (٢١)

ان السنن الاجتماعية تعد من اهم السنن التي تناولها السيد العلامة (رحمه الله) حيث تكون شريكة الانسان بكل مجالاته الحياتية أي ان الانسان الذي يقرأ القران بتدبر وامعان وفهم هنا تجد هذا الانسان يسهل عليه ان يحدد طريق مسيره ضمن سنة الله الاجتماعية التي تخدم الانسان حتى انا نجد الكثير من الآيات القرآنية التي تتحدث عن هذه السنة لأهميتها للإنسان وكيف يستطيع ان يوظفها عمليا في حياته اليومية وكل ما زاد وعيا بالسنن الاجتماعية تفتح امامه سبل النجاة قال تعالى : {لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} حيث بين الرسول (صل الله عليه وآله) في وصيته لعلي (عليه السلام) : والسادسة الاخذ بسنتي في صلاتي وصيامي وصدقتي (٢٢)

ثالثا – سنن تشريعية :

قال تعالى : {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ} (٢٣)

" و جملة القول و ملخصه أن القرآن يبني أساس التشريع على التوحيد الفطري و الأخلاق الفاضلة الغريزية و يدعي أن التشريع يجب أن ينمو من بذر التكوين و الوجود " (٢٤)

" ثم إنا نرى أنه تعالى نصب نفسه في مقام التشريع و جرى في ذلك على ما يجري عليه العقلاء في المجتمع الإنساني، من استحسان الحسن و المدح و الشكر عليه و استقباح القبيح و الذم عليه كما قال تعالى : {إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ} (٢٥) و قال تعالى : {بِئْسَ الِاسْمُ

الْفُسُوقُ} ([٢٦]) و ذكر أن تشريعاته منظور فيها إلى مصالح الإنسان و مفاسده مرعي فيها أصلح ما يعالج به نقص الإنسان " ([٢٧]) وبين أيضا الشيرازي " فإن في هذا العالم عالم التكوين التشريع ثمة قوانين ثابتة لا تتغير عبر عنها القران الكريم السنن الإلهية والتي لا سبيل الى تغيرها ([٢٨])

يتضح السنن التشريعية هي ثمرة السنن الكونية والسنن التأريخية والسنن الاجتماعية لان بتطبيقها ومعرفتها عن دراية يحصل العبد بها النجاة والفوز في الدنيا والاخرة قال تعالى : **{فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ}** وفي صدد السنن الاجتماعية بين محسن الأراكي قال : ينبغي لنا أن نبدأ بالبحث عن سنن التطور الاجتماعي في القران الكريم وموقع الثورة الحسينية منها وما ينتج عن ذلك من تفسير الواقع الاجتماعي والسياسي لحاضر البشرية ومستقبلها " ([٢٩]).

ثانيا – سنن تاريخية : وبينها السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره)

" أن القران الكريم حينما يتحدث عن عملية التغيير يتحدث عن أناس يتحدث عن بشر لا يتحدث عن رسالة السماء بل يتحدث عنهم بوصفهم بشرا من البشر تتحكم فيهم القوانين وحتى عندما يتحدث عن النصر والهزيمة بالمعنى المادي لكن الذي يهزم هو الانسان الانسان حتى لو كان هذا الانسان مجسدا لرسالة السماء لأن هذا الانسان تتحكم فيه سنن التاريخ ماذا قال القران قال : {وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ} " ([٣٠]) ([٣١]).

أي يبين ان السنن هي من تقوم بالتحكم بالإنسان من حيث الانتقال من سنة الى سنة أخرى أي تتغير وفق الأزمنة والمكان والمصلحة .

وبين بشأن سنن التاريخ عماد الدين خليل :

" إن ثمة حقيقة أساسية تبرز واضحه في القران الكريم تلك هي مساحة كبيرة في سوره وآياته قد خصصت للمسألة التاريخية التي تأخذ ابعادا واتجاهات مختلفة وتتدرج بين العرض المباشر والسرد القصصي الواقعي لتجارب عدد من الجماعات البشرية وبين استخلاص يتميز بالتركيز والكثافة للسنن التاريخية التي تحكم حركة الجماعات عبر الزمان والمكان .. وتبلغ هذه المسألة حدا من الثقل والاتساع في القران الكريم " ([٣٢])

ويذكر أيضا الدكتور علي شريعتي حول سنن التاريخ :

" أن ثمة مفهومان للتاريخ الأول هو موضوع علم التاريخ والثاني علم التاريخ الأول يعنى الحوادث ذاتها والثاني يعني بالعلاقات بينها وهو الذي عرف بفلسفة التاريخ وقوانين التاريخ أو كما يسمونه علم صيرورة الانسان " ([٣٣])

المطلب الثالث : نماذج سننية قرآنية

وهنا نشير الى بعض السنن التي بحثها السيد العلامة (رحمه الله)

أولا – قوله تعالى : {فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ} (٣٤) " النظر و الانتظار والمعنى وإذ مكروا المكر السيء والمكر السيء يحيق بأهله فهم لا ينتظرون إلا السنة الجارية في الأمم الماضين وهي العذاب الإلهي النازل بهم إثر مكرهم و تكذيبهم بآيات الله " (٣٥)

ان أفعال الانسان الفاسدة والمقيتة التي تؤدي بهم الى الضلال وفي الاية يقول الله عز وجل لماذا لا تتعضون من السنن التي قبلكم.

ثانيا – وقوله تعالى : **{فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا}** " تبديل السنة أن توضع العافية والنعمة موضع العذاب وتحويلها أن ينقل العذاب من قوم يستحقونه إلى غيرهم وسنة الله لا تقبل تبديلا ولا تحويلا لانه تعالى على صراط مستقيم لا يقبل حكمه تبعيضا ولا استثناء " (٣٦).

سنة الله ثابتة ان كانت في سنة إيجابية كالهداية او كانت سنة اضلال وتحويل وتغيير هذه السنن هو تابع الى الناس انفسهم وفق أعمالهم ان كانت وان كانت شر وبين الفخر الرازي بشأن هذه الاية قال تعالى : {فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا} " تبديلا لأنها سنة من سنن الله إذا علمت هذا فنقول اضافها في الأول إليهم حيث : سنت الأولين لأن سنة الله الاهلاك بالأشراك والإكرام على الإسلام فلا يعلم أنهم ينتظرون ايهما فإذا قال سنة الأولين تميزت وفي الثاني أضافها الى الله لأنها لما علمت فالإضافة الى الله تعظمها وتبين انها امر واقع ليس لها من دافع " (٣٧)

ثالثا – قال تعالى : **{إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}** (٣٨) " الجهد الوسع والطاقة والمجاهدة وقوله تعالى {جاهدوا فينا} اي استقر جهادهم فينا وهو استعارة كنائية عن كون جهده مبذولا فيما يتعلق به تعالى من اعتقاد عمل " (٣٩)

وهذه بأعتبارها احد أسباب سنة الهداية {جاهدوا} أي بمعنى قدموا كل ما بوسعهم في سبيل اعلاء كلمة الحق أو الجهاد على صعيد النفس وعدم الانجرار وراء المغريات والاهواء ويبقى العبد صامد ثابت قويم الايمان بهذا يحصل العبد على الهداية و البصيرة ليمتطي سبيل النجاة.

رابعا – قال تعالى : **{فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ}** (٤٠) ويبين ابن كثير حول هذه الاية " فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للإسلام أي ييسره له وينشطه ويسهله لذلك فهذه علامات على الخير كقوله تعالى : **{أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ}** " (٤١) (٤٢)

عندما توجد بذرة الايمان لدى العبد والعبد يحافظ عليها بصبره وعزمه فإن الله يإخذ بيده ويشرح صدره لطريق الهداية والسبيل المنجي من المعاصي والافات.

خامسا – قوله تعالى : **{إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}** " المراد بالهداية الإيصال الى المطلوب ومرجعه الى إفاضة الإيمان على القلب "

من صريح الاية المباركة ان الله يعلم من يكون على استعداد لتلك الهداية الملقاة منه جل وعلا.

سادسا – قوله تعالى : **{إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}** " **وفيه دعوتهم الى الاحسان وبيان انه يتحقق بالتقوى** " (٤٣)

يتبين ان من يكون ذات تقوى أي مؤمن صابر على البلاء وان يكون تقيا امام المعاصي والمغريات الدنيوية هنا الله تعالى لا يضيع اجرهم من الاحسان.

سابعا – قوله تعالى : **{ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ}** (٤٤)

ان خص خواصه بهذه الهداية الإلهية أي بتوفيق منه تعالى وهذه الهداية هي بمرتبة الشرف في عالم الدنيا والكرامة في الاخرة.

ثامنا – قوله تعالى : **{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ}** " حكم كلي من قبيل ضرب القاعدة لمن عمل صالحا أي من كان وقد قيده بكونه مؤمنا " (٤٥)

يدخل في معنى هذه الاية الكريمة كل عمل صالح يرشد الى الخير قد يكون الرزق الحلال عند التجارة وتلازمه القناعة التي هي عمل خير وبهذا يكون العبد في طاعة الله سعيدا والكل يدخل في مورد العمل الصالح.

تاسعا – قوله تعالى : **{إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}** "يظهر من الاية ان من شأن المخلصين من عباد الله ان يروا برهان ربهم وان الله سبحانه يصرف كل سوء وفحشاء عنهم " (٤٦)

ان العبد اذا اخلص لله تعالى فإن الله يقي هذا العبد من كل سوء وفحشاء أي العبد هذا من المطهرين المجتبين المختار من قبل الله عز وجل.

عاشرا – قوله تعالى : **{بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}** (٤٧)

من صريح الاية ان هناك عهد ما بين العبد والرب وعهد العبد هو من خلال امتناع العبد عن المحرمات وفعل الواجبات بذلك يكون العبد ضمن دائرة الاتقياء الذين يحبهم الله.

احدى عشر – قوله تعالى : **{إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}** (٤٨)

بمعنى ان الله عز وجل يصرف عن عباده المحسنين الصعاب والشدة ويجعل لهم من امورهم الصعبة مخرجا قال تعالى : **{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا}**.

اثنى عشر – قوله تعالى : **{وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ}** (٤٩)

ان الله تعالى يقرب لهم ما يهلكوا به بسبب انهم تمادوا في المعاصي والفساد وكل ما افسدوا ان الله تعالى يرزقهم ويفتح لهم الخير في الدنيا الى ان يصبحوا منغمسين في المعاصي.

ثلاث عشر – قوله تعالى : **{وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}** (٥٠)

أي ان الذي لا يملك الاستعداد للايمان الحق لا يوفقهم الله لطاعته ولا يوفقهم لفعل الخيرات قال تعالى : **{وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}**.

رابع عشر – قوله تعالى : **{وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ}** (٥١)

ان من يترك ذكر الله جل وعلا حتما سوف يكون مع الشيطان أي ان الذي لا يقرأ القران ولا يصلي لله هنا يخرج من طاعة الله الى طاعة وساوس الشيطان.

خامس عشر – قوله تعالى : **{وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ}** (٥٢)

يتضح من الاية الكريمة ان يبدل طريق الخير بطريق الشر فقد اصبح في طريق ضلال أي ضل طريق حياته وسار في هذه الحياة دون ايمان وبصيرة ومن خلال الاية انه خسران في الدنيا والاخرة ويبين صاحب تفسير المنار " أن التفنن في طلب الايات وعدم الإذعان لما يجيء به النبي منها والاكتفاء به بعد العجز عن معارضته هو دأب المطبوعين على الكفر الجامدين على المعاندة والمجاهدة فإنه قال بعد إنكار هذا الطلب : **{وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ}** ويوضح هذا قوله في اية أخرى قال تعالى : **{وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ}** (٥٣)

سادس عشر – ونظير الظلم الفسق في قوله تعالى : **{فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}** (٥٤) وبالجملة الظلم وهو الانحراف عن الصراط العدل والعدول عما ينبغي من العمل الى غير ما ينبغي موجب لعدم الاهتداء الى الغاية المقصودة ومؤد الى الخيبة والخسران بالآخرة وهذه من الحقائق الناصعة التي ذكرها القران الشريف وأكد القول فيها في آيات كثيرة (٥٥).

نتائج البحث :

١- ثبات السنن الإلهية في الكون والتاريخ ويتضح من التعريفات المختلفة أن السنن الإلهية ثابتة وغير قابلة للتغيير وهي تحكم الكون والتاريخ وفق مشيئة الله وحكمته بحيث تسير الأمم وفق هذه السنن فإن التزمت بها نالت الخير وإن انحرفت عنها واجهت العواقب.

٢- أثر السنن في مصير الإنسان والمجتمعات وذلك من خلال تناول آراء العلماء أثر السنن الإلهية في حياة الأفراد والمجتمعات حيث أكد العلامة الطباطبائي (رحمه الله) على ارتباطها بالفطرة الإلهية وأشار السيد الشهيد الصدر إلى دور الظروف الموضوعية في التغيير التاريخي بينما ركّز محسن قراءتي على دور السنن في ضبط الحلال والحرام مما يبرز شمولية هذه السنن وتأثيرها على مختلف جوانب الحياة.

٣ – تنوع السنن وأهميتها في حياة الإنسان هذا مما يتضح من تقسيمات السنة (الكونية، والاجتماعية، والتشريعية، والتاريخية) أن السنن الإلهية تحكم كافة جوانب الحياة بدءًا من القوانين الكونية التي تضبط النظام الكوني مرورًا بالسنن الاجتماعية التي توجه حياة الأفراد والمجتمعات وصولًا إلى السنن التشريعية التي تحدد القواعد الدينية والسنن التاريخية التي توضح مسار الأمم والشعوب.

٤ – يتبين من خلال هذه السنن القرآنية أن قوانين الله في الهداية والضلال والثواب والعقاب لا تتغير ولا تتبدل بل تجري وفق أعمال العباد واختياراتهم فمن سار على طريق الإيمان والتقوى نال الهداية والرضوان ومن أعرض واستكبر وقع في الضلال والخسران وهذا يؤكد أن مصير الإنسان في الدنيا والآخرة مرتبط بسلوكه وإرادته وفق السنن الإلهية الثابتة التي لا تحابي أحدًا.

هوامش البحث:

[١] –ال عمران ، ١٣٧.

[٢] –النساء ، ٢٦.

[٣] –فاطر ، ٤٣.

[٤] –النساء ، ٦٩.

[٥] –ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ج ٣ ص ٦٠ ، كتاب السين ، باب ما جاء من كلام العرب وأوله سين في المضاعف والمطابق.

[٦] –ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج ٢ ص ٤٠٩ ، حرف السين ، باب السين مع النون.

[٧] –الأزهري ، تهذيب اللغة ، ج ١٢ ص٧٢ ، باب العين والسين.

[٨] –ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١٣ ص ٢٢٤ ، فصل السين المهملة.

[٩] –ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ص ٦١ ، باب الهمزة والسين وما يثلثهما.

[١٠] –الطباطبائي ، الميزان ، ج ٨ ص ١٩٧.

[١١] باقر الصدر ، المدرسة القرانية ، الدرس الثالث ، ص ٦٣ .

[١٢] –قراءاتي ، تفسير النور ، ج ٢ ص ٤٤.

[١٣] –النساء ، ٦.

[١٤] –الأعراف ، ٩٤.

[١٥] –المصدر السابق ، ج ٨ ص ١٩٥.

[١٦] –الأعراف ، ٩٦

[١٧] –الطباطبائي ، تفسير الميزان ، ج ٨ ص ١٩٥–١٩٦.

[١٨] –الحراني ، تحف العقول ، ص ١٥٠.

[١٩] –الأحزاب ، ٦٢.

[٢٠] –الروم ، ٣٠.

[٢١] –نفس المصدر ، ج ٧ ص ١٢١.

[٢٢] –البرقي ، المحاسن ، ج ١ ص ١٨.

[٢٣] –النحل ، ٨٩.

[٢٤] –نفس المصدر ، ج ١ ص ٦٣.

[٢٥] –البقرة ، ٢٧١.

[٢٦] –الحجرات ، ١١.

[٢٧] –نفس المصدر ، ج ١ ص ٩٥.

[٢٨] –الشيرازي ، الأمثل ، ج ١٤ ص ١١٦.

[٢٩] –الاراكي ، سنن التطور الإجتماعي في القران الكريم ،

[٣٠] –الصدر ، المدرسة القرانية ، الدرس الثالث ، ص ٦٣.

[٣١] –ال عمران ، ١٤٠.

[٣٢] –خليل عماد الدين ، التفسير الإسلامي للتأريخ ، ص ٥ .

[٣٣] –انظر فصلية إسلامية المعرفة ، ص ١٦٦.

[٣٤] –فاطر ، ٤٣.

[٣٥] –المصدر السابق ، ج ١٧ ص ٥٨.

[٣٦] –المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٥.

[٣٧] –الرازي ، مفاتيح الغيب ، ج ٢٦ ص ٢٤٧.

[٣٨] –العنكبوت ، ٦٩.

[٣٩] –المصدر السابق ، ج ١٦ ص ١٥١.

[٤٠] –الانعام ، ١٢٥.

[٤١] –ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ج ٣ ص ٣٠٠.

[٤٢] –الزمر ، ٢٢.

[٤٣] –الطباطبائي ، الميزان ، ج ١١ ص ٢٣٧.

[٤٤] –الانعام ، ٨٨.

[٤٥] –المصدر السابق ، ج ١٢ ص ٣٤٢.

[٤٦] –المصدر نفسه ، ج ٣ ص ٢٦٤.

[٤٧] –ال عمران ، ٧٦.

[٤٨] –الصافات ، ١٢١.

[٤٩] –الأعراف ، ١٨٣.

[٥٠] –البقرة ، ٢٥٨.

[٥١] –الزخرف ، ٣٦.

[٥٢] –البقرة ، ١٠٨.

[٥٣] –رشيد رضا ، تفسير المنار ، ج ١ ص ٣٤٤.

[٥٤] –الصف ، ٥.

[٥٥] –الطبابائي ، الميزان ، ج ٢ ص ٣٥٦.

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

١–إسلامية المعرفة مجلة الفكر الإسلامي المعاصر ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الأردن ، ١٩٩٩

٢–الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي ، المكتبة النجفية ، ٢٠٢٣.

٣–تحف العقول عن آل الرسول ، الحسن بن علي ابن شعبة الحراني ، المطبعة الحيدرية ومكتبتها ، النجف الأشرف ، ١٩٦٣.

٤–تفسير ابن كثير ، عماد الدين بن كثير ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨.

٥–التفسير الإسلامي للتاريخ ، خليل عماد الدين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨١.

٦–تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٠.

٧–تفسير النور ، محسن قراءاتي ، دار المؤرخ العربي ، ٢٠١٤.

٨–تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد الأزهري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١.

٩–سنن القيادة الإلهية في التاريخ ، الشيخ محسن الأراكي ، معهد المعارف الحكمية ، لبنان ، ٢٠١٤.

١٠–لسان العرب ، محمد بن مكرم ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤هـ.

١١–المدرسة القرانية ، محمد باقر الصدر ، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي ، بدون سنة نشر.

١٢–معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٩.

١٣–مفاتيح الغيب التفسير الكبير ، محمد بن عمر فخر الدين الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٠هـ.

١٤–الميزان في تفسير القران ، محمد حسين الطباطبائي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧.

١٥–النهاية في غريب الحديث والأثر ، مجد الدين ابن الأثير ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٩٧٩.

Sources and References:

The Holy Quran

1-Islamic Knowledge, Contemporary Islamic Thought Magazine, International Institute of Islamic Thought, Jordan, 1999

2-Al-Amthal fi Tafsir Kitab Allah Al-Manzil, Nasser Makarem Shirazi, Najaf Library, 2023.
3-Tuhaf Al-Uqul An Aal Al-Rasul, Al-Hassan bin Ali bin Shuba Al-Harrani, Al-Haidariyya Press and its Library, Najaf Al-Ashraf, 1963.
4-Tafsir Ibn Kathir, Imad Al-Din bin Kathir, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, First Edition, 1998.
5-Islamic Interpretation of History, Khalil Imad Al-Din, Dar Al-Ilm Lil-Malayin, Beirut, Third Edition, 1981.
6-Tafsir Al-Manar, Muhammad Rashid Rida, Egyptian General Book Authority, Cairo, 1990.
7-Tafsir Al-Nur, Mohsen Qaraati, Dar Al-Mu'arikh Al-Arabi, 2014.
8-Tahdhib Al-Lugha, Muhammad bin Ahmad Al-Azhari, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, Beirut, First Edition, 2001.
9-Sunan Al-Leadership in History, Sheikh Mohsen Al-Araki, Institute of Wisdom Knowledge, Lebanon, 2014.
10-Lisan Al-Arab, Muhammad bin Makram bin Manzur, Dar Sader, Beirut, third edition, 1414 AH.
11-Al-Madrasa Al-Quraniya, Muhammad Baqir Al-Sadr, Dar Al-Kitab Al-Islami Foundation, without year of publication.
12-Mujam Maqayis Al-Lughah, Ahmad bin Faris, Dar Al-Fikr, Beirut, 1979.
13-Mafatih Al-Ghaib, The Great Interpretation, Muhammad bin Omar Fakhr Al-Din Al-Razi, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, Beirut ١٤٢٠،AH.
14-Al-Mizan in Interpretation of the Qur'an, Muhammad Hussein Al-Tabatabai, Al-Aalami Foundation for Publications, Beirut, first edition, 1997.
15-Al-Nihaya fi Gharib Al-Hadith wa Al-Athar, Majd Al-Din Ibn Al-Athir, Al-Maktaba Al-Ilmiyyah, Beirut, 1979.